ISSN : 2599-0659
E-ISSN: 2657-0742

اللغة العربية وأهميتها في فهم القرآن والسنة

(ذو الفكر مُحَمَّد)
شعبة تدريس اللغة العربية جامعة بنجكولو الإسلامية الحكومية
zulfikri.m73@gmail.com

Abstract

Learning Arabic is a necessity because we are helped with it to know this religion better. The sources of our religious law speak Arabic, and the poles of the turats are a reference in explaining the purposes of this religious teaching, all of them speak Arabic. Ibnu Taimiyyah said, Arabic is part of religion, and knowing it is an obligation. Because, understanding the Qur'an and the Sunnah is obligatory, while the two will not be understood without knowing Arabic. Something that is not perfect is an obligation but with it, then he too becomes obligatory.
Keywords: Arabic Language, quran dan sunnah

المقدمة

من المؤسف أن اغلب المسلمين فى عصرنا هذا تكالبوا على تعلم اللغات الأجنبية المختلفة وتباهوا بتدريسهم في المدارس والجامعات الأجنبية ، وهم مع ذلك يهملون تعلم اللغة العربية . فوجدنا أكثر المتخرجين من المدارس والجامعات الإسلامية في بلادنا لا يعلمون اللغة العربية إلا قليلا ، بل ليس بقليل منهم لا يجيدون قراءة القرآن .وإنهم بهذا السلوك يباعدون أنفسهم من كتاب الله ومنهجه ويصعبون عليهم تطبيق شريعته . وكلما زادت الفجوة بينهم وبين اللغة العربية كلما ازدادوا بعدا عن الإسلام وفقدوا هويتهم .

إن اللغة – أية لغة – بالنسبة لكل أمة هي أداة تواصل و طريقة تفكير و رمز عزة ، أما اللغة العربية فهي بالنسبة للعرب كل هذا وتزيد عليه أنها لغة دين . ذلك لأن الله تعالى قد أنزل بها كتابه الكريم وأنزله على رجل من أهلها – صلى الله عليه وسلم – . فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية كلها بالعربية ومن أراد أن يفهم معانى آيات كتاب الله وأحاديث

رسوله , عليه أن يتعلم اللغة العربية . لأن اللغة العربية من الدين وعدم إتقانها لمن العوائق لتعقل القرآن والسنة ويؤدى إلي فوات العلم بأحكامه وفهم حلاله وفوات الاتعاظ ببشارته وإنذاره .

جاء هذا المقال تذكيرا بأهمية اللغة العربية لنا في حياتنا الدينية في فهم أحكام ديننا من أصوله ومنابعه . أعالج فيه إختيار اللغة العربية لغة القرآن ، وفضل العربية ومكانتها في الإسلام ، وواجبة المسلم نحو لغة مصادر أحكام دينه مبينا أقوال العلماء فيه .

المباحث

أ. اختيار اللغة العربية لغة القرآن

إنه لا شك في أن الإسلام لا يعرف الأسود والأحمر ولا العرب والعجم ولا البلد والبادية في التفضيل ،بل إنه يعرف التقوى فقط في التفضيل ، كما يصرّح بذلك القرآن بقول : إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات : ١٣]. ولكن لا يمكن لأحد إنكار فضيلة لسان العرب علي ألسن العجم. وليس لأحد مجالا للاحتجاج إلي الله لماذا نزَّل القرآن بلسان العرب ولماذا بعث رسوله في العرب كما لايكون للنساء أن تعترض علي الله لماذا قال : الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ [النساء : ٣٤]، ولماذا قال : وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ [البقرة : ٢٢٨] . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم.

نحن لا نشك في أن نزول القرآن باللغة العربية دون غيرها من اللغات لم يكن عفوياً ، بل كان لأسباب دقيقة ، وهو بكل تأكيد إختيار حكيم لأنه من قِبَل رب العالمين ، ونحن نؤمن بوجود الحكمة في هذا الاختيار سواءً تبينت لنا أسبابه أم لم تتبين .

ومن الواضح أن نزول القرآن – كغيره من الكتب السماوية– كان لا بُدَّ أن يكون بلغة من اللغات الحية التي يتكلم بها الناس عصره ، واللغة العربية كانت إحدى أهم تلك اللغات .ومن الواضح أيضاً أن أي كتاب سماوي ينبغي أن ينزل

بلغة الرسول الذي ينزل عليه ذلك الكتاب ليتمكن من التعامل معه بصورة طبيعية .

و من ذلك المنطلق كان من الطبيعي إختيار اللغة العربية دون غيرها من اللغات ، حيث أنها اللغة التي كان يتحدث بها النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وآله . وأن أي رسول لا بُدَّ أن يتحدث بلسان القوم المرسَل إليهم ، أو المبعوث فيهم . ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر حيث قال : وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ بِلسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة إبراهيم : الآية ٤]. فكان من الطبيعي أن يتم نزول القرآن باللغة العربية التي هي لغة النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ولغة قومه الذين يعيش معهم .

ومن جانب آخر ، إن اللغة العربية كما جاء في الأحاديث هي لغة عدد من الأنبياء العظام السابقين عليهم السلام ، و قد كانوا يتكلمون بها ، و لقد جاء في بعض الروايات أن خمسة أنبياء من العرب : هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومُحَمَّد – عليهم السلام – ، وأن لغة النبي آدم – عليه السلام – حينما كان في الجنة كانت العربية ، حيث أنها لغة أهل الجنة وستكون العربية لغتهم التي يتكلمون بها في الجنة .[1] فكل هذه الأمور مما ترجح وتدعم إختيار اللغة العربية لأن تكون لغة للقرآن الكريم .

والله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه يسَّر العربية لغير العرب جميعا ، حتى نرى براعة كثير من العجم تفضل علي براعة كثير من العرب ، وتكثر خدماتهم للإسلام من خدمات العرب . هذا إمام المحدثين مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري ليس بعربي ، وهذا الإمام مسلم بن الحجاج ليس بعربي ، وكذا الإمام الترمذي والإمام أبو داود والإمام النسائي والإمام ابن ماجه وكثير من الأئمة ، بل أكثرهم ليسوا بعرب . وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري نري الإمام شاه ولي الله الدهلوي

[1] بحار الأنوار : ١١ / ٥٦

والعلامة عبد الحي اللكهنوي والعلامة صديق حسن خان والعلامة مُحَمَّد بن عبد الرحمن المباركفوري والعلامة خليل الرحمن السهارنفوري –صاحب بذل المجهود في شرح سنن أبو داود– ، والعلامة أنور شاه الكشميري –صاحب فيض الباري شرح صحيح البخاري– ، والعلامة المحدث مُحَمَّد ناصر الدين الألباني والعلامة الأديب أبو الحسن علي الندوي قد لعبوا دورا كبيرا في خدمة الإسلام والأدب العربي مع أنهم ليسوا بعرب .

ب.فضل العربية ومكانتها في الإسلام

ذكر فيما سبق أن الله تعالى كرم اللغة العربية إذ أنزل كتابه بها على رجل من أهلها وحَفظها هو بنفسه . وهذا قطعيُّ الدلالة على أنّها خيرُ اللغات .

والإنسان لا يكون مسلما إلا بعد الإقرار بالشهادة (أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله)؛ هذا مفتاح الدخول إلى الإسلام و أول الواجب على المكلف ، وكان نطق تلك الشهادة باللغة العربية إن استطاع . هذا بالنسبة للعقيدة, أما بالنسبة للشريعة فإن من شروط صحة الصلاة هي قراءة الفاتحة قراءة صحيحة . وكذلك الحج الذى كان ركن الإسلام الأعظم؛ فيه من التلبية والشعائر القولية المطلوب أداؤها – طلب وجوب أو استحباب – باللغة العربية على كل المسلمين ، وغير ذلك من الشعائر مثل : قراءة القرآن وذكر الله جل وعلا؛ كل هذا يحتاج فيه إلى تعلم شيء من العربية ليصح إسلام العبد وتصح عباداته .

أما بالنسبة للعلم ، فإن العلوم الإسلامية قد نشأ وترعرع تدوين كتبها في أمة الإسلام إثر نزول القرآن ومن أقدمها كتب عن تفسير القرآن وأصول الفقه . دونت وتفرعت فيما بعد كتب كثيرة عن علوم الدين وكانت كلها تكتب بالعربية . والعلماء قد وضع شروطا مَن حقَّقها وحاز عليها ، نال رتبة الاجتهاد في الدين . واختلفوا في بعض هذه الشروط ،

لكنهم اتفقوا جميعا على شرط إتقان اللغة العربية كشرط أساس في المجتهد ، لا يصح له الاجتهاد إلا بإتقان لغة العرب التي بها نزَل القرآن ، وبها تحدث سيد ولد عدنان ﷺ ، فالقرآن والسنة هما مصدر التشريع الإسلامي ، فوجب على من أراد بلوغ رتبة الاجتهاد أن يحوز هذه اللغة؛ ليفهم مراد الله جل وعلا ، ويفهم كلام المصطفى ﷺ .

ج. واجبة المسلم على تعلم اللغة العربية

ينبغي للمسلم مهما كانت لغته وجنسيته أن يحرص على تعلم اللغة العربية وأن يعلمها أهله وأولاده ، لأنها تتعلق بأمور دينهم . وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال : تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة . وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : أن مر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام ، ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق . وورد عنه أنه قال : عليكم بالفقه في الدين والتفهم في العربية وحسن العبارة . وسئل الحسن البصري : ما تقول في قوم يتعلمون العربية؟ فقال : أحسنوا ، يتعلمون لغة نبيهم .

العربية واجبةٌ على كل مسلم بحسبه ، فالقدر الذي لا يجوز لمسلمٍ أن ينقص عنه هو القدر الذي يمكنه من إقامة الفرائض ، وفهم كلام الله ورسوله ، ففيهما نجاتُه في الدنيا والآخرة . قال الماوردي : ومعرفة لسان العرب فرض على كل مسلم من مجتهد وغيره .[٢]

وقال ابن تيمية رحمه الله : نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .[٣]

وقال أيضا : كان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن ، فنحن مأمورون – أمر إيجاب أو أمر استحباب– أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسن المائلة عنه

---

[٢] إرشاد الفحول للشوكاني ، ص ٢٥٢

[٣] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٩٦٤/١) .

، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة ، والاقتداء بالعرب في خطابها ، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا .[٤]

وقال الشافعي : يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما يبلغه جهده في أداء فرضه . وذلك لأن معرفة الدين فرض واجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، والإسلام لا يُفهم إلا بفهم العربية .

وقد اهتم الإمام الشافعي رحمه الله ببيان أهمية معرفة اللسان العربي ، وفرّق في كتابه "الرسالة"[٥] بين حاجة كل فرد مسلم إلى هذه المعرفة وحاجة من يريد علم فهم القرآن الكريم والسنة النبوية ومعرفة حكم الله فيهما . فقال عن القسم الأول : فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك .[٦] وذلك لأن هذه المذكورات عند الشافعي من فرائض الدين على كل فرد ولا يمكن أداؤها إلا باللسان العربي ، وكل شيء توقف عليه حصول الفرض صار فرضاً .

ثم قال رحمه الله عقب ذلك : وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له ، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها ويأتي البيت وما أمر بإتيانه ويتوجه لما وجه له ويكون تبعاً فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعاً . وفي هذا الكلام من أحكام الله شيئان : أولهما أن تعلم لسان العرب فيما زاد على المقدار الذي هو فرض عين خير للمؤمن يؤجر عليه وإن لم يكن هذا الزائد فرضاً . ثانيه أن من اقتصر على هذا المقدار فهو

[٤] الفتاوى: 252 /32

[٥] الرسالة هي من أول كتاب في علم أصول الفقه الذي تُبنى عليه أحكام الشرع ويُفهم به القرآن والسنة ، ألفه الإمام الشافعي رضي الله عنه في أواخر القرن الهجري الثاني حسب ما وصل إلى أيدي الناس ، وذلك في رسالة بعثها إلى الإمام عبد الرحمن بن مهدي ، ولذلك سُمي هذا الكتاب بـ "الرسالة"

[٦] الرسالة: ص ٨٤

في أمور الدين تابع لا متبوع لأن هذا المقدار لا يؤهله لمعرفة الأحكام من الكتاب والسنة بنفسه فلذلك هو تابع لا متبوع ، أي يتبع فهم العلماء للكتاب والسنة . أما المتبوع فله في كلام الشافعي رحمه الله بيان خاص لما يحتاجه من اللسان العربي ، فقال في الرسالة: لا يعلم من إيضاح جمل الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها .

وقال عناية الله إبلاغ[٧] : إن القرآن الكريم ذكر في آيتين وعدة آيات نذكر الآية الأولى : إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا [سورة يوسف : الآية ٢]، والآية الثانية : إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ [سورة الزخرف : الآية ٣]. هذا الإرشاد والهداية القرآنية تجعلنا في موقف علينا أن ندرس اللغة العربية دراسة عميقة أكثر مما يتصوره بعض الناس . فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية كلها باللغة العربية وهذا يفرض على المسلمين أن يعرفوا اللغة العربية، وإن قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة وبقدر قراءة الفاتحة هذا فرض عين معناه أن كل مسلم عليه أن يعرف سورة الفاتحة حتى يقرؤها في الصلاة . فالحد الأدنى الآن لتعلم اللغة العربية على كل مسلم سواء كان عربياً أم أعجمياً أن يستطيع حفظ سورة الفاتحة وقراءتها وفهم معانيها . أما بالنسبة للمتخصصين فعليهم أن يغوصوا في أعماق اللغة ويحاولوا فهم كل جوانبها حتى يستخلصوا منها الأشياء الأساسية المتعلقة بفهم هذه اللغة ونشرها.

د. أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة

وتكمن أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة من خلال البيان التالي :

الأول : أن من أسباب الخطأ في التفسير ، ومن عوامل الانحراف في فهم

[٧] هو الأستاذ في جامعة الكويت، أفغاني المولد والنشأة ، وهو من أبرز المتخصصين في اللغة العربية وعلومها وبيانها، ومن أبرز الدعاة إلى نشرها والتمسك بأصولها وله دراسات وأبحاث ومشاركات في مؤتمرات وندوات دولية متميزة في هذا المجال .

الآيات القرآنية ، ومن دواعي ظهور المفهومات الزائغة للنصوص الشرعية ، هو الضعف في اللسان العربي قراءة وكتابة وفهما وتطبيقا ، والجهل بقواعده من التصريف والنحو والاشتقاق والإعراب والمعاني والبيان وغير ذلك من مصطلحات اللغة وأصولها ، ثم التعامل مع هذه النصوص من خلال هذه العجمة . وطرأ هذا الضعف اللساني والجهل اللغوي بسبب شيوع العجمة وانتشارها وذيوع اللحن وظهوره ودخول الأمم العجمية في الإسلام وقلة العلم بأصول اللغة ومدلولاتها وندرة الاهتمام بالحفاظ عليها .[٨] إلى

الثاني : تعد معرفة اللغة العربية من أهم الأدوات لفهم القرآن الكريم وتفسيره ، إذ القرآن نزل باللسان العربي ، فلا شك أنه لا يصح فهمه وتفسيره إلا عن طريق ذات اللسان الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي ﷺ .

ولقد أردك العلماء أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره ، وحذروا من تفسير كتاب الله من غير علم بالعربية . قال مجاهد بن جبر : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب .[٩]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي ، وجعل رسوله مبلغا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي ، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن □لبـ □ل □ا □ط الدين ومعرفته إلا بـ □ا □ط اللسان ، وصارت معرفته من الدين ، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله ، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين ، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، في جميع أمورهم . واللسان تقارنه أمور أخرى : من العلوم والأخلاق ، فإن العادات لها تأثير

[٨] أسباب الخطأ في التفسير ، دراسة تأصيلية ، للدكتور: طاهر محمود يعقوب (٩٨٨/٢) .

[٩] الإتقان في علوم القرآن (٢١٣/٤) .

عظيم فيما يحبه الله وفيما يكرهه ، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين الأولين ، في أقوالهم وأعمالهم ، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة . [١٠]

ويقول الشاطبي : القرآن نزل بلسان العرب على الجملة ، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ، لأن الله تعالى يقول :

- إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا [يوسف : الآية ٢]
- . . . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ [الشعراء : الآية ١٩٥]
- . . . لِّسَانُ الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ [النحل : الآية ١٠٣]
- وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ [فصلت : الآية ٤٤]

إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب ، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم ، فمن أراد تفهمه ، فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة . [١١]

الثالث : اللغة العربية المطلوب تعلمها لفهم القرآن الكريم وتفسيره : معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم ، قال ابن عاشور : أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم . ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي ، وهي : متن اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان . ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم ، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعاني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين . [١٢]

---

[١٠] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/٤٤٩-٤٥٠) .

[١١] الموافقات (٢/١٠٢) .

[١٢] التحرير والتنوير (١/١٨) .

قال القرطبي : "من لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي ، والنقل والسماع لا بدله منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط .[١٣]

الاختتام

يتبين لنا مما سبق أن اللغة العربية مهمة جدا في فهم القرآن والسنة . إننا في حاجة شديدة إليها و لا غنى عنها لنا كمسلمين . فلابد لنا أن نتعلمها لانها تعيننا في فهم معانى آيات كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ . وإذا اعترفنا بهذه الحقيقة فلا يعُز علينا تقدير أهمية اللغة العربية في الإسلام . ونرجو من أصحاب المدارس والجامعات الإسلامية فى بلادنا النظر في هذا الأمر ، وبالله التوفيق .

[١٣] تفسير القرطبي (٣٤/١) .

المراجع

أبو إسحاق الشاطبي،دون سنة. *الموافقات في أصول الشريعة*، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلاميةوالأوقات والدعوة والإرشاد.

أحمد بن عبدالحليم بن سلام بن تيمية، *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*، الرياض: مكتبة الرشد.

جلال الدين السيوطي،٢٠٠٨. *الإتقان في علوم القرآن*، بيروت، مؤسسة الرسالة.

شيخ مُحَمَّد باقر المجلسيي، *بحار الأنوار*، بيروت، مؤسسة الوفاء.

طاهر محمود يعقوب،١٤٢٥. *أسباب الخطأ في التفسير*، المملكة العربية السعودية، دار بن جوزي.

مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، دون سنة. *الرسالة*، بيروت، دار الكتب العلمية.

مُحَمَّد بن على الشوكاني، دون سنة. *إرشاد الفحول*، الرياض،دار الفضيلة.